ثم دخلت سنة سبع وستين وثلثمائة

ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق

في هذه السنة، سار عضد الدولة إلى بغداد، وأرسل إلى بختيار يدعوه إلى طاعته وأن يسير عن العراق إلى أي جهة أراد، وضمن مساعدته بما يحتاج إليه من مال وسلاح وغير ذلك، فاختلف أصحاب بختيار عليه في الإجابة إلى ذلك، إلا أنه أجاب إليه لضعف نفسه، فأنفذ له عضد الدولة خلعة فلبسها، وأرسل إليه يطلب منه ابن بقية، فقلع عينيه وأنفذه إليه، وتجهز بختيار بما أنفذه إليه عضد الدولة، وخرج عن بغداد عازماً على قصد الشام.

ج٧/٩٠/ط وسار عضد الدولة فدخل بغداد، وخطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد، وضرب على بابه/ ثلاثة نوب، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه، وأمر بأن يلقى ابن بقية بين قوائم الفيلة لتقتله، ففعل به ذلك وخبطته الفيلة حتى قتلته، وصلب على رأس الجسر في شوال من هذه السنة، فرثاه أبو الحسين الأنباري بأبيات حسنة في معناها، وهي:

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيباً ... وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم اقتفاء ... كمدّهما إليهم في الهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات

وتشعل عندك النيران ليلاً ... كذلك كنت أيام الحياة

ولـم أر قـبـل جـذعـك قـط جـذعـاً تـمـكـن مـن عـنـاق الـمـكـرمـات
ركـبـت مـطـيـة مـن قـبـل زيـد عـلاهـا فـي الـسـنـيـن الـذاهـبـات[1]

وهي كثيرة، قوله: زيد علاها، يعني: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، لما قتل وصلب/ أيام هشام بن عبد الملك، وقد ذكر، وبقي ابن بقية مصلوباً إلى أيام صمصام الدولة، فأنزل من جذعه ودفن. ج٧ / ٩١/ط

ذكر قتل بختيار

لما سار بختيار عن بغداد، عزم على قصد الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان، فلما صار بختيار بعكبرا، حسن له حمدان قصد الموصل وكثرة أموالها، وأطمعه فيها وقال: إنها خير من الشام وأسهل.

فسار بختيار نحو الموصل، وكان عضد الدولة قد حلّفه أنه لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودة ومكاتبة كانت بينهما، فنكث وقصدها، فلما صار إلى تكريت، أتته رسل أبي تغلب تسأله أن يقبض على أخيه حمدان ويسلمه إليه، وإذا فعل سار بنفسه وعساكره إليه، وقاتل معه عضد الدولة وأعاده إلى ملكه بغداد، فقبض بختيار على حمدان، وسلّمه إلى نواب أبي تغلب، فحبسه في قلعة له، وسار بختيار إلى الحديثة، واجتمع مع أبي تغلب وسارا جميعاً نحو العراق، وكان مع أبي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل، وبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما، فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت ثامن عشر شوال، فهزمهما وأسر بختيار وأحضر عند عضد الدولة، فلم يأذن بإدخاله إليه وأمر بقتله، فقتل وذلك بمشورة أبي الوفاء طاهر بن إبراهيم، وقتل من أصحابه خلق كثير، واستقر ملك عضد الدولة بعد ذلك، وكان عمر بختيار ستاً وثلاثين سنة، وملك إحدى عشرة سنة وشهوراً[2].

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٤٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٤٨، ٣٤٩)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٩)، وذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٢، ٤٥٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٥٦)، وذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٢، ٤٥٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٤٩).

ذكر استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان

لما انهزم أبو تغلب وبختيار، سار عضد الدولة نحو الموصل، فملكها ثاني عشر ذي القعدة وما يتصل بها، وظن أبو تغلب أنه يفعل كما كان غيره يفعل، يقيم يسيراً ثم يضطر إلى المصالحة ويعود، وكان عضد الدولة أحزم من ذلك، فإنه لما قصد الموصل، حمل معه الميرة والعلوفات ومن يعرف ولاية الموصل وأعمالها، وأقام بالموصل مطمئناً، وبث السرايا في طلب أبي تغلب، فأرسل أبو تغلب يطلب أن يضمن البلاد، فلم يجبه عضد الدولة إلى ذلك، وقال: هذه البلاد أحب إلي من العراق.

وكان مع أبي تغلب المرزبان بن بختيار، وأبو إسحاق، وأبو طاهر ابنا معز الدولة، ووالدتهما، وهي: أم بختيار وأسبابهم، فسار أبو تغلب إلى نصيبين، فسير عضد الدولة سرية عليها حاجبه أبو حرب طغان إلى جزيرة ابن عمر، وسيّر في طلب أبي تغلب سرية، واستعمل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار، فسار أبو تغلب مجداً، فبلغ ميافارقين وأقام بها ومعه أهله، فلما بلغه مسير أبي الوفاء إليه، سار نحو بدليس ومعه النساء وغيرهن من أهله. ووصل أبو الوفاء إلى ميافارقين، فأغلقت دونه ـ وهي حصينة منيعة من حصون الروم القديمة ـ وتركها وطلب أبا تغلب، وكان أبو تغلب قد عدل من أرزن الروم إلى الحسنية من أعمال الجزيرة، وصعد إلى قلعة كواشي وغيرها من قلاعه، وأخذ ماله فيها من الأموال، وعاد أبو الوفاء إلى ميافارقين وحصرها/. ج٧/٩٢/ط

ولما اتصل بعضد الدولة مجيء أبي تغلب إلى قلاعه، سار إليه بنفسه فلم يدركه، ولكنه استأمن إليه أكثر أصحابه، وعاد إلى الموصل وسيّر في أثر أبي تغلب عسكراً مع قائد من أصحابه، يقال له: طغان، فتعسف أبو تغلب إلى بدليس، وظن أنه لا يتبعه أحد، فتبعه طغان فهرب من بدليس، وقصد بلاد الروم ليتصل بملكهم المعروف: بورد الرومي، وليس من بيت الملك، وإنما تملك عليهم قهراً، واختلف الروم عليه ونصبوا غيره من أولاد ملوكهم، فطالت الحرب بينهم، فصاهر ورد هذا أبا تغلب ليتقوى به، فقدر أن أبا تغلب احتاج إلى الاعتضاد به.

ولما سار أبو تغلب من بدليس، أدركه عسكر عضد الدولة، وهم حريصون على أخذ ما معه من المال، فإنهم كانوا قد سمعوا بكثرته، فلما وقعوا عليه، نادى أميرهم: لا تتعرضوا لهذا المال فهو لعضد الدولة. ففتروا عن القتال، فلما رآهم أبو تغلب فاترين،

حمل عليهم فانهزموا، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ونجا منهم فنزل بحصن زياد، ويعرف الآن: بخرتبرت، وأرسل ورد المذكور، فعرفه ما هو بصدده من اجتماع الروم عليه واستمده، وقال: إذا فرغت عدت إليك، فسيَّر إليه أبو تغلب طائفة من عسكره، فاتفق أن ورداً انهزم، فلما علم أبو تغلب بذلك، يئس من نصره وعاد إلى بلاد الإسلام، فنزل بآمد، وأقام بها شهرين إلى أن فتحت ميافارقين[1].

ذكر عدة حوادث

فيها ظهر بأفريقية في السماء حمرة بين المشرق والشمال مثل لهب النار، فخرج الناس يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه، وكان بالمهدية زلازل وأهوال أقامت أربعين يوماً، حتى فارق أهلها منازلهم وأسلموا أمتعتهم.

وفيها سيَّر العزيز بالله العلوي صاحب مصر وأفريقية أميراً على الموسم ليحج بالناس. وكانت الخطبة له بمكة، وكان الأمير على الموسم: باديس بن زيري، أخا يوسف بلكين خليفته بأفريقية، فلما وصل إلى مكة، أتاه اللصوص بها فقالوا له: نتقبل منك الموسم بخمسين ألف درهم ولا تتعرض لنا. فقال لهم: أفعل ذلك، اجمعوا لي أصحابكم حتى يكون العقد مع جميعكم. فاجتمعوا فكانوا نيفاً وثلاثين رجلاً، فقال: هل بقي منكم أحد؟ فحلفوا أنه لم يبق منهم أحد، فقطع أيديهم كلهم.

وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة، وغرقت كثيراً من الجانب الشرقي ببغداد، وغرقت أيضاً مقابر بباب التبن بالجانب الغربي منها، وبلغت السفينة أجرة وافرة، وأشرف الناس على الهلاك، ثم نقص الماء فأمنوا.

الوفيات

وفيها توفي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، المعروف: بابن قريعة وله نوادر مجموعة، وعمره خمس وستون سنة.

وفيها خلع على/ القاضي عبد الجبار بن أحمد بالري، وولي القضاء بها وبما تحت حكم مؤيد الدولة من البلاد، وهو: من أئمة المعتزلة، ويرد في تراجم تصانيفه قاضي

ج٧/٩٣/ط

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٤٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٩، ١٢٠)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٢).

القضاة، ويعني به: قاضي قضاة أعمال الري، وبعض من لا يعلم ذلك، يظنه قاضي القضاة مطلقاً، وليس كذلك[١]/ . ج٧/٩٤/ط

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٥٣، ٢٥٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥٠) مختصراً.